المشرق

نظم حضرة الشاعر المجيد المطران فستفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي *

حُزْتِ يَا مَرْيَمُ مِلْءَ ٱلنِّعَمِ حِينَ تَصْوِيرِكِ ضِمْنَ ٱلرَّحِمِ

أَيُّ أُنْثَى وُلِدَتْ أَمْ ذَكَرٍ مِنْ بَنِي حَوَّاءَ أُمِّ ٱلْبَشَرِ

لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ بِٱلْمُسْتَأْسَرِ مَا خَلَا ٱلْعَذْرَاءَ ذَاتَ ٱلْعِظَمِ

وَٱبْنَهَا ٱلْمَوْلُودَ مُنْذُ ٱلْقِدَمِ (١

تِلْكَ خَوْدٌ إِذْ تَرَاءَتْ فِي ٱلرَّقِيمْ حَفَّهَا قَرْنٌ مِنَ ٱلشَّمْسِ بَدِيمْ

*) قد علّق حضرتهُ على هذه القصيدة تعليقات حسنة مع ذكر اقوال الآباء والليتورجيات الشرقيّة التي بنى عليها كلّ دور وقد اضطرّنا ضيق المكان الى الضرب على اكثرها

١) راجع في مجلّة المشرق الغرّاء (٧: ٤٠٥-٤١١) هذا القول وما يليهِ في الحواشي من الاقوال واعلم اني اقتبستُ معظمها من مقالة الاب لويس شيخو اليسوعي المنونة « عقيدة الحبل بلا دنس في الكنائس الشرقيّة » ومن رسالة غبطة بطريركنا الفضال السيد افرام الرحماني المنشورة في ما نحن بصددهِ

وَعَلَا أَخْمَصَهَا ٱلْبَدْرُ ٱلرَّفِيعْ وبدا إِكْلِيلُهَا مِنْ أَنْجُمِ
فَوْقَ رَأْسٍ بِأَلِيهَا مُتَّسِمِ (١

حَوَتِ ٱلْحُسْنَ فَكَانَتْ دُونَ رَيْبْ ظَرْفَ ظَرْفٍ لَيْسَ فِيهَا نَقْصُ عَيْبْ
ذَاعَ ذَا مَا بَيْنَ أَنَامٍ كُلُّ صَوْبْ وَبِهِ قَالَ فُحُولُ ٱلْقَلَمِ
فِي نِظَامٍ أَوْ نِثَارِ ٱلْكَلِمِ (٢

فَإِذَا خَصَّصْتُ بِٱلذِّكْرِ ٱلسَّلَفْ مِنْ أُهَيْلِ ٱلشَّرْقِ أَصْحَابَ ٱلطَّرَفْ
جِئْتُ بِٱلْمُعْجِزِ يَبْقَى لِلْخَلَفْ فِي سَمَاءِ «ٱلْمَشْرِقِ» رَبِّ ٱلْحِكَمِ
شِبْهَ نَارٍ وُضِعَتْ فِي عَلَمِ

نَبَتَتْ عَوْسَجَةٌ مِنْ حَنَّةِ وَهِيَ شِيمَتْ قَبْلُ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ
تَتَلَظَّى كَأَجِيجِ ٱلشُّعْلَةِ بِذَكَاءٍ فَلَّ ذِهْنَ ٱلْفَهِمِ
دُونَ أَنْ تَحْرَقَ مِثْلَ ٱلْأَجَمِ (٣

وَغَدَتْ سُوسَنَةً بَيْنَ ٱلْقَتَادْ (٤ وَتَبَدَّتْ جِزَّةً فَوْقَ ٱلْمِهَادْ
وَٱلنَّدَى ٱلثَّاوِي بِهَا أَحْيَا ٱلْعِبَادْ وَشَفَى فِيهِمْ صَدَى كُلِّ ظَمِي
ذَاكَ طَلٌّ مُخْجِلٌ لِلدِّيَمِ (٥

فَهْيَ أَرْضُ ٱلْبِرِّ بَلْ حَقْلُ أَمَانْ قَدْ خَلَا مِنْ شَوْكِ إِثْمٍ وَزُؤَانْ

---

١) هذا نظم قول الرؤيا (١٢: ١): «ظهرت في السماء آيةٌ عظيمة امرأة ملتحفة بالشمس وتحت قدميها القمر وعلى رأسها اكليل من اثني عشر كوكبًا»

٢) طالع في المشرق (٧: ٤١٩-٤٢٣) نبذة للاب لويس شيخو موضوعها «العذراء مريم في الشعر العربي»

٣) اشارة الى طليعة موسى التي كانت تتوقّد بالنار وهي لا تحترق (خروج ٣: ١ و٢)

٤) راجع سفر نشيد الانشاد (٢: ٢)

٥) ورد ذكر جزّة جدعون المرموز بها من العذراء في سفر القضاة (٦: ٣٦-٤٠)

وَهْيَ دَوْحٌ عَطِرٌ رَوْحُ جَنَانْ غَرَسَتْهُ يَدُ بَارِي النَّسَمِ
فِي جِنَانِ الرُّوحِ مَسْرَى النَّسَمِ
أَثْمَرَتْ فِي حِينِهِ نَسْلَ الْخُلُودْ فَأَتَانَا حَسْبَ مُقْتَضَى الْعُهُودْ
وَبِهِ فُزْنَا بِغَايَاتِ السُّعُودْ وَعَلَانَا عَلَمٌ لِلسَّلَمِ
وَالْهُدَى أَعْظِمْ بِهِ مِنْ عَلَمِ
عِنْدَ إِذْ شَاءَ الْإِلٰهُ الْمُرْتَجَى مَنْقَذًا لِلْخَلْقِ مِنْ لَيْلِ دَجَا
وَضَعَتْهُ مَرْيَمٌ أُمُّ النَّجَا فَأَضَاءَتْ شَمْسُهُ فِي الْغَنَمِ
وَأَنَارَتْ عَقْلَ أُولِي السَّقَمِ

هِيَ بِنْتُ الْآبِ ذِي الْعَرْشِ الصَّمَدْ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ أُمٌّ لِلْوَلَدْ
حَلَّ فِيهَا آخِذًا مِنْهَا جَسَدْ مُذْ رَآهَا نُزِّهَتْ عَنْ وَصَمِ
كَمَلَاكٍ فِي صَفَاءِ الشَّيَمِ
عَادَ إِبْلِيسُ لَدَيْهَا وَجِلَا جَلَّ رَبِّي مُجْتَبِيهَا وَعَلَا
مُنْذُ يَوْمٍ فِيهِ نَالَتْ حَبَلَا أَنَّهَا جَنَّةُ ذَاتُ الْعَقَمِ
فَأَتَتْ طَاهِرَةً لَمْ تُضَمِ
هِيَ حِصْنٌ بَابُهُ قَدْ أُوصِدَا سَهْمُ إِبْلِيسَ حِذَاهُ صَرِدَا
وَلَهُ فِي الْخُبْثِ زَنْدٌ صَلَدَا حِينَمَا حَاوَلَ هَتْكَ الْحَرَمِ
فَأَتَى يَقْرَعُ سِنَّ النَّدَمِ
حَاوَلَ النَّشَّ فَخَابَتْ حِيلَتُهْ وَرَمَاهَا فَأُطِيشَتْ نَبْلَتُهْ
فَأَغْتَدَى يَعْدُو وَخَارَتْ حَوْلَتُهْ . وَأَلَتَّقَا مِنْ مَرْيَمٍ لَمْ يُهْضَمِ
مِثْلَ حَوَّا قَبْلَ خَطْبِ عَمَمِ

أُمْنَا حَوَّا أَجَلَّتْ شَرَكَهْ وَأَتَاحَتْ لِبَنِيهَا الْهُلَكَهْ
وَالْبَتُولُ الْأُمُّ تِلْكَ الْمَلِكَهْ سَحَقَتْ أَرْؤُسَهُ بِالْقَدَمِ
وَأَرَتْنَا سُمَّهُ فِي الدَّسَمِ
كَأَلِيفَانَا قُوَاهُ انْكَسَرَتْ مُذْ يَهُودِيتُ بِهِ قَدْ ظَفِرَتْ
فَانْبَرَتْ لَمَّا عَلَيْهِ انْتَصَرَتْ تَرْدِرِي فِي بَأْسِهَا كُلَّ كَمِي
مِنْ صَنَادِيدِ كُمَاةِ الْبُهَمِ
قَبْلَمَا هَامَانُ أَسْتِيرَ صُلِبْ بِدَبُورَا جَيْشُ يَابِينَ غُلِبْ
سِيسَرَا وَلَّى وَفِي الْهَامِ ضُرِبْ بِيَدَيْ يَاعِيلَ وَسْطَ الْخَيْمِ
يَا لَهَا مِنْ نَوْمَةٍ لَمْ تُنَمِ (١

إِنَّمَا الْإِثْمُ جَنَا طُوفَانَ نُوحْ وَبَكَتْ مَرْيَمُ لِلدِّينِ صُرُوحْ
بَيْنَمَا نَبْكِي شَقَانَا وَنَنُوحْ بَشَّرَتْ بِالصُّلْحِ كُلَّ الْأُمَمِ
تِلْكَ وَرْقَاءُ طُيُورِ النَّغَمِ (٢
ذَلِكَ التَّابُوتُ فِي عَهْدٍ مَضَى كَانَ رَمْزًا لِلْمَسِيحِ الْمُرْتَضَى
مُنْتَقًى مِنْ خَشَبٍ يَحْكِي الْغَضَا وَيَسُوعُ مُجْتَبًى مِنْ مَرْيَمِ
جِسْمُهُ الْأَنْقَى إِلَيْهَا يَنْتَمِي
هُوَ فِرْدَوْسٌ لِتِلْكَ الْجَنَّةِ مُخْجِلٌ إِذْ هِيَ مَأْوَى النِّقْمَةِ
وَهُوَ فِيهِ حَلَّ مَوْلَى النِّعْمَةِ رَبُّنَا الْقَادِرُ مُحْيِي الرِّمَمِ

---

١) إِنَّا نُلْقِي رَمْزًا الى مريم في دبورا وياعيل ويهوديت وأستير وغيرهنَّ من عقائل العهد العتيق كما أنَّا نُلْقِي رمزًا الى يسوع في اسحق ويوسف وموسى وداود وغيرهم من عظماء ذلك العهد

٢) راجع سفر التكوين ٨: ١١

مَصْدَرُ ٱلْجُودِ مَعِينُ ٱلْكَرَمِ

ذاكَ بَدْرٌ يَسْتَنِيرُ ٱلضَّفَفَا بِضِيَاءٍ رَاقَ مِنْهُ وَصَفَا
وَإِذَا ٱلشَّاعِرُ يَوْمًا وَصَفَا حُسْنَهُ أَصْفَى كَمَنْ فِي بَكَمِ
وَهُوَ نَسَّاجُ ٱلطِّرَازِ ٱلْمُعْلَمِ

أَيْنَ قَوْلِي مِنْ ثَنَاهُ يَا تُرَى وَلَقَدْ أَعْجَزَ لُسْنَ ٱلشُّعَرَا
فَهُوَ نَارٌ وَهُوَ نُورٌ بَهَرَا فَبِوَهْجٍ مِنْهُ كُلٌّ قَدْ حَمِي
وَعَلَى غَيْرِ ٱلسَّنَا لَمْ يُحْمِ

وَلِذَا بُؤْتُ بِتَقْصِيرِي أَقُولْ يَا إِلٰهِي كُنْ مُعِينِي وَٱلْبَتُولْ
فِي وُعُوثٍ وَحُزُونٍ وَسُهُولْ وَٱدْفَعَنْ عَنِّي دَوَاعِي ٱلنِّقَمِ
فِي ٱبْتِدَا ٱلْعُمْرِ وَفِي ٱلْمُخْتَتَمِ

مريم العذراء في الشعر العامي

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

قد كنا سابقًا في عدد المشرق الذي خصصناهُ ليوبيل الجبل بمريم العذراء البريّ من الخطيئة الاصليَّة نشرنا بعض ما وقفنا عليه في دواوين الشعراء النصارى من الثناء على والدة الله. وكنَّا اشرنا آنئذٍ الى اقوال اخرى شاعت بين المسيحيين فتناقلوها وتغنَّوا بها وادخلوا بعضها في رتبهم الدينيَّة. وهذه الاقوال ليست في الغالب موزونةً على اعاريض الشعر العربيّ القديم الَّا انَّ لها ايضًا وزنًا ظاهرًا خاصًّا بها مع التقفية على طرائق معلومة تختلف اختلافًا عظيمًا كما ترى في الشعر المولَّد من الازجال والموشحات والاناشيد الغنائيَّة. فرأينا بنسبة عيد البتول الواقع في ٨ ك ١ ان نجمع من هذه الاقوال نبذًا تدلُّ على جودة قرائح مستنبطيها وهي مع ضعف تأليفها شعريَّة المعاني كثيرة التفنُّن في